

التجارة كما أسهمت الدولة العباسية في دفع النشاط التجاري قدما إلى الأمام فعملت على توطيد النظام الداخلي وكبح الثورات والتصدي للمشكلات الدولية مما كان له الأثر في نهضة التجارة الداخلية والخارجية. وعلى الصعيد الداخلي استطاعت الخلافة أن تؤكد سلطانها في كل مكان ترابط الجند في الأمصار والثغور وانتشرت القواعد البحرية في البحرين الأحمر والمتوسط والمحيط الهندي، وكان للسياسة الخارجية أثر هام على توجيه النشاط التجاري في العصر العباسي الأول فعلي الجهة البيزنطية، ولما منيت الجيوش الأموية بالهزيمة توقفت هذه الحملات، كل ذلك وغيره جعل الموقف العباسي تجاه البيزنطيين موقفا دفاعيا، كذلك انتشار المناطق الأثرية على طول الحدود العباسية البيزنطية وكان هذا الشريط الثغري عبارة عظمى أربطة أو قلاع حصينة يقيم فيها المرابطون من المقاتلة والنسك بشكل دائم، ولم ترسل في هيئة حملات لكنها كانت سريا سميت بالصوائف والشواتي . ومع بداية الخلافة العباسية، الجبهة البيزنطية ففي عام 137هـ/754م أغار البيزنطيون على أعالي بلاد الشام، واستولوا على ملطية وخرابو حصونها، ويبدو أن الضغط قد ازداد على الجبهة البيزنطية بعد ذلك، حتى اضطر الإمبراطور البيزنطي في عام 771/155م إلى طلب الصلح على أن يؤدي الجزية للخلافة سنويا كما عمل المهدي على تحصين الثغور مستعينا بأبنه هارون الذي استطاع أن يتوغل داخل بلادهم 165هـ/781م، فوجدنا حرص شديد أثناء توليه الخلافة عام 181هـ/797م على المسير إلى آسيا الصغرى حتى يحقق الهدوء والأمن على الحدود البيزنطية، حتى قاد المأمون حملة بنفسه عام 218هـ/833م توجه بها إلى عمورية لكن وفاته المفاجأة أخرت هذه الحملة إلى عهد المعتصم، الذي ازداد الصراع في عصره أثناء انشغال المعتصم بثورة بابك الخرجي فأغار البيزنطيون على مدينة زبطرة وأحرقها فثار المعتصم وسار حتى وصل إلى عمورية وضرب حولها الحصار وتغنى الشعراء بهذا الانتصار، ومع الوثائق تم تبادل الأسري إيدانا بعهد جديد من السلام فضلا عن دور الأغلبية في صقلية وجنوب إيطاليا وسيادتهم البحرية في وسط البحر المتوسط، حتى انتهى الأمر بطرد البيزنطيين نهائيا من صقلية بعد ما يقرب من سبعين عاما وبذلك فقدوا أعظم معاقلهم في البحر المتوسط، كما استولى الأغلبية على مالطة وسردينيا وانشابوا نحو جنوب إيطاليا ودانت للأغلبية مدنا كثيرة في الجنوب الإيطالي منها نابلي وسالرن ومونت كاسينو، والعلاقات الدبلوماسية بين الخلافة العباسية وإمبراطورية شارلمان، مما ساعد على تحول البحر المتوسط إلى بحيرة إسلامية بعد إبعاد السيطرة البيزنطية . فمن المعلوم أن الخطر الصيني لم يكن يتطلع إلى مكاسب سياسية بقدر ما كان يطمع في السيطرة على الطرق التجارية في آسيا الوسطى التي كانت تسلكها القوافل إلى الشرق الأدنى وأوروبا، ومعلوما أن فتح بلاد ما وراء النهر قد تم فتحها خلال خلافة الوليد بن عبد الملك عام 93هـ/711م عندما تمكن القائد قتيبة بن مسلم اللابعين من فتح بخارى و سائر مدن خورازم وسمرقند، وبعدها توجه قتيبة في عام 714/096م إلى حدود الصين، لكنه انسحب بعد ذلك ولم يتمكن من التوغل داخل الحدود الصينية، فان وقوفه على أبواب الصين جعل أباطرة الصين يعملون على تأمين حدودهم الغربية واستولوا على مواطن الأتراك الشرقيين ضد المسلمين في بلاد ما وراء النهر وكثيرا ما تحالف هؤلاء مع أمراء الأتراك الغربيين للثورة على الحكم الإسلامي في محاولات لطرد المسلمين من البلاد، وبذل المسلمون في سبيل تأكيد وجودهم الكثير وأنقذوا جيوشا متوالية حتى استردوا مدينة بخاري . ومع سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، وفرغانة ويرجع السبب في ذلك إلى الهزيمة التي منى بها إمبراطور الصين على يد القائد العربي زياد بن صالح الخزاعي عام 133هـ/750م وأدى هذا النصر إلى التقليل من حدة المطامع الصينية مما دفع الأسرة الحاكمة في الصين إلى مسالمة العباسيين . واستجابات الخلافة العباسية لمسالمة الصينيين، وبدأت الخلافة العباسية بعد ذلك تقيم الثغور في حدود إقليم التركستان كما أخدمت الجيوش العباسية الثورات التي قامت بها وأرغمتها على الخضوع . كما استمر العباسيون في إرسال الحملات لاستكمال فتح الهند التي تم فتحها مع الأمويين في عهد الأمويين خلال خلافة الوليد حيث تم فتح الأراضي الواقعة بين كابل والملتان والتوغل في حوض السند وتمكن محمد بن القاسم من تثبيت النفوذ الإسلامي في تلك الأنحاء، فكان علي العباسيين أن يثبتوا هذه الفتوحات وان يعيدوا فتح الأقاليم الخارجة عن سلطة الخلافة ولم ينته عصر المعتصم إلا وكان الإسلام منتشرا في الأجزاء الشمالية من الهند وتبع ذلك إنشاء المدن واستقرار القبائل العربية. نمو التجارة الدولية في ظل الاسلام : ساعدت حركة السلم التي أتاحتها السياسة الخارجية العباسية إلى وجود عدد من الطرق التجارية البرية والبحرية التي سلكها التجار في هذه الفترة فوجدت عدة طرق برية منها طريق إلى الشرق من بغداد همدان الري طوس هراة بخارى سمرقند، وطريق آخر شمالي بغداد ويتجه الموصل سنجار نصيبين الرقة طبرية الرملة القاهرة الاسكندرية وطريق ثالث يبدأ من غرب أوربا الاندلس طنجة المغرب مصر الشام ويصل في النهاية إلى العراق. أما الطرق البحرية يبدأ من غرب أوربا إلى المشرق مارا بمصر وقام بهذا الدور التجار اليهود الذين يطلق عليهم الرهدانية، يعملون بدور الوسيط لنقل التجارة من الغرب إلى الشرق وبالعكس، ثم يأتون من الهند بالمسك والعود والكافور، كما

وصلت التجارة الإسلامية إلى أبعد من ذلك فوصلت إلى اسكنديناوة والسويد وتم العثور على نقود إسلامية، وأدى الاهتمام بهذه التجارة الدولية إلى نشوء موانئ إسلامية هامة منها الإسكندرية التي كانت تلعب دور الوساطة بين أوروبا والشرق، أيضا القلزم لتجارة الشرق الأقصى، أما عيذاب فكان يرد إليها السفن الآتية من الحبشة وزنجبار واليمن، كذلك ميناء عدن الذي اعتبر نقطة ارتكاز بين الهند والصين ومصر بسلع أسيوية وأوربية . والسفينة عبارة عن خطاب تذكر فيه قيمة معنية من المال قابل للصرف في أي مكان من عملاء وجهابذة الشخص الذي يقوم بتحرير السفينة ظهر أيضا الصك وهو بمثابة ورقة مالية يثبت فيها قيمة دين أو قرض له أجل معين، أما عدن كانت تمثل أكثر المكوس ارتفاعا فكان يؤخذ ثلث أموال التجار بسبب الأرباح الطائلة التي يحصلون عليها، لأن من يدخل عدن بألف درهم يخرج بألف دينار . وتجلى دور الدولة في الاهتمام بالتجارة من خلال رفع الظلم عن التجار فأخذ الرشيد بنصائح القاضي أبي يوسف في الحيلولة دون جور العمال في تحصيل الأموال واقترح أبو يوسف تولية قوما من أهل الصلاح والدين على المكوس كما أشار على الرشيد أن يتفقد أعمالهم ويعزل الفاسد منهم. ومع إلحاح التجار وجدنا القاضي أبو يوسف ينصح الرشيد الذي كان أول من وضع الخراج على الحوانيت بأن يرفع الظلم على المارين بالمصالح وأن يصلح الجهاز الجمركي الذي كان عاجزا عن ملاحقة التطور، فوصلت في عصر الرشيد إلى ٥٠٠ مليون درهم وعشرة ملايين دينار ولم تقل هذه الموارد خلال أيام الأمين والمأمون رغم الحروب